وصل يسوع إلى منحدر جبل الزيتون واطلّ منه على المدينة المقدسة بمبانيها وأسوارها، وعلى هيكلها الذي كان معجزة الفن وتحفة من تحف العالم القديم بجماله وفخامته. فتوقف قليلاً وتأوّه باكياً عليها " لو علمت أنت أيضاً في هذا اليوم رسالة السلام ! ولكن قد خفي ذلك عن ناظريك ! فستأتي عليك أيام يحيق بك أعداؤك بالمتاريس ويحاصرونك ويضيّقون عليك من كل جهة، ويمحقونك، أنت وبنيك الذين فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفي يوم افتقادك...." . تلك هي النبوّة التي حققتها، على غير علمٍ بها، جيوش تيطس وأدريانوس سنة سبعين للميلاد، يوم حاصرت المدينة، وسحقتها وشعبها سحقاً كان عليها كالضربة القاضية.

ولما دخل أورشليم ارتجفت المدينة كلها وانضم إلى الموكب طائفة من الأولاد، واخذوا يهنفون هتاف الكبار: هوشعنا لابن داود ! ... وقيل: من هذا؟ فكانت الجموع تقول: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل. وتقدم إليه في الهيكل عميٌ وعرجٌ فشفاهم. ولما رأى رؤساء الكهنة والكتبة المعجزات التي يصنع ، والأولاد يهتفون في الهيكل: هوشعنا لابن داود ! سخطوا وقالوا له: أتسمع ما يقول هؤلاء؟ فقال لهم يسوع: نعم، انه من فم الأطفال والرضّع أعددت لكم تسبيحاً .

وقال آخرون فيما بينهم في لهجة اليائس: ترون أنكم لا تستفيدون شيئاً، فها هوذا العالم في إثره ! وكان هناك نفر من اليونانيين ممن صعدوا ليقيموا شعائر العبادة في العيد وكانوا يُدعون دخلاء. وهم أفراد من الأوساط اليونانية والرومانية، اتاحت لهم الفرصة الاحتكاك بالجاليات اليهودية المقيمة فيما بينهم، أن يتعرّفوا على المعتقدات والشرائع اليهودية، فاعتنقوها وعاشوا بروحها دون أن ينظمّوا رسمياً واجتماعيا إلى أسرة إبراهيم ، لأن هذا كان يقتضيهم التقيّد بممارسات تنفر منها نشأتهم الوثنية، وينبذها محيطهم الإنساني وأهمها شريعة الختان. وحركة التهود هذه نراها تأخذ في الازدياد خلال القرن الأول قبل المسيح. ولا عجب فالانحطاط الأخلاقي المروّع، حتى في بعض المظاهر الدينية والسخافة القصوى في المعتقدات في العالم اليوناني الروماني، قد خلقا جواً من الاشمئزاز والفراغ الروحي في نفوس كثيرة.

كانت الساحة الخارجية الكبرى في الهيكل مباحة للجميع من يهود ودخلاء ووثنيين . أما الساحات الداخلية فكانت محضورة على غير اليهود فنحن إذاً من هؤلاء اليونانيين في الساحة الخارجية.